

تأمل في حياة القديس يعقوب الحمطوري

تضرع بلا انقطاع الى الرب ان يؤهله لتلبية دعوته الالهية "تعالوا الي يا جميع المتعبين والثقلين الأحمال وأنا أريحكم احملا نيري عليكم وتعلموا مني لاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم . لان نيري هين وحلمي خفيف " (متى 20: 28 – 29).

ولم يجد في اي مكان راحة كالتي وجدها في التواضع ، ولم يجد اي اضطرابا كما في الكبرياء ، تواضع امام الجميع لهذا رفعه الله . " اتضعوا قدام الرب فيرفعكم "

(يعقوب 4: 10) .

اجتذبه الله من حياة الفانية الى نور الحياة الابدية . فكان يعتبر نفسه من دون نعمة الله ليس بشيء اكثر من قصبه جافة شجرة عديمة الثمر . اناء للخطيئة وللاهواء . واعتبر كل الصالحات في داخله هي من نعمة الله ، اذ ما يملكه هو فقط الاهواء والخطايا .

قادته الصلاة بلا انقطاع الى التواضع اذ نظر الى اعماق نفسه ولم يجد عنده شيء صالح ولذا لا يستطيع ان يحقق شيئا ، بلا معونة الله ، وبالرغم كل هذا لم يتوقف عن التضرع الى الله .

وهكذا كان يصلي بالتواضع وبالصلاة تواضع وتقدم روحيا . هذا التواضع الكامل الذي كان ينمو في ذاته ما هو الا لحفظ وصايا الرب حفظ دقيقا .

القديس يعقوب الحمطوري لم يلتصق بالامور المادية فبقي حرا من الروابط العالمية المحزنة ، قلبه لا يقويه بالمطربات العالمية ، لم يطلب راحة وعزاء في الملذات الجسدية لانه لا يرتاح ابدأ فيها .

طلب الرب الخالق ليلا ونهارا ، طلبه حتى اقتناه فوجده باكملة داخل ذاته .

فأتعب نفسه وسهر حتى تغلب على اهوانه وضعفاته حتى كآفنه الرب . "لهذا اردد تواضعا ما ازدت عظمة تنال حظوة لدى الرب" (سيراخ 3: 18) . " كل عطية سالحة وكل موهبة كاملة هي من فوق نازلة من عند ابي الانوار " (يعقوب 1: 17) .

فكانت ارادة القديس الصالحة تلد الاتعاب والاعتاب الفضائل والفضائل العمل الروحي الذي أدى الى الثبات في الفضيلة وجعل النفس في حالة طبيعية كما كانت ايام الفردوس الالهي الى درجة ملامسة قلب الله .

هذه دلالات على توبته وصدقه وتذكره لله دائما في وسط العالم المتناسي لذكر الله . كان دائما يحضر الى ذهنه خوف رهيب ورهبة ساعة الدينونة . هناك حيث تفتح المصاحف والكتب ليحاكم كل واحد . اذ سيجد كل المستحقين المجد الالهي والملكوت السماوي مفتوحا لهم " لن يدخله شيء دنس ولا ما يصنع رجسا وكذبا "

(رؤيا 12: 27) .

لذا يقول الاباء القديسون : اذا مت قبل ان تموت فلت تموت عندما ستموت . اي ان مت قبل موتك الجسدي موتا عن الخطيئة ، عندئذ لن تكون نهاية حياتك على الارض موتا بل انتقالا الى حياة اخرى مغبوبة لا نهاية لها ، وفي تلك الساعة تستطيع ان تقول للرب : " مستعد قلبي يا الله ، مستعد قلبي.. " .

لقد ادرك القديس الشهيد يعقوب الحمطوري اهمية الشهادة الداخلية وعرف قيمتها فهو يقول مع بولس الرسول : " اني اموت كل يوم " (1 كورنثوس 15 : 13) . ان الشهادة اي الموت لاجل المسيح ليس مجرد احتمال بل هو بالحقيقة حاضرة ومختبرة في حياتنا اليومية .

لهذا كان دافع الشهادة اساسا لحياة القديس يعقوب الحمطوري لاختيار الحياة بالمسيح .

لذا في كل يوم وفي كل ساعة كان القديس يعقوب مستعدا للحظة الشهادة المرهوبة ، اذ حفظ في ذهنه ذكر الموت . فالموت عنده لم يكن غاية بل على العكس هو تحرر من طغيان الاهواء واتحاد ابدي مع الرب يسوع . ولم يجد خيرا اكبر من الشهادة التي تقود الى الاتحاد بالله في ملكوت السموات .

رجاءه وأمله وفرحه وراحته كانوا في الرب الرحيم والعطوف والرؤوف والطويل الاناة. وكان غناه نعمة الروح القدس التي كانت تظلمه ، وكنزه حضور الرب الحي حوله وداخله الذي وهبه السلام الذي يفوق كل عقل . لسان حاله قول المزمور: " شريعة فمك (فمك الرب) خير لي من ألوف ذهب وفضة " (مزمور

118 : 72) ، " القليل الذي للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين ، لان سواعد الاشرار تكسر وعاضد الصديقين هو الرب " (مزمور 36 : 16 - 17) .

هكذا كانت حياته ، جهاد الحياة ، والحياة جهاد . " غير متكاسلين في الاجتهاد وحارين في الروح عابدين الرب " (رومية 12 : 11) . جاهد سهر تيقظ لم يضيع اي لحظة من الوقت في حياته ، فالوقت اعطي له لكي تحرث نفسه وتقتني الصالحات الابدية ، حرص على ألا يخلو يومه من الاعمال الروحية والجهاد الروحي. حياته كانت الحرب المستمر ، الوزنة التي كانت معه لم يخفيها بل ضاعفها لنلا يسمع ابدا " ايها العبد الكسلان عرفت اني احصد من حيث لم ازرع واجمع من حيث لم ابذر اما كان ينبغي ان تضع فضتي عند الصيارفة فعند مجيبي كنت آخذ الذي لي مع ربا " (متى 25 : 260 27) .

لسرور ولغبطة ، وعيد واحتفال روحي ابدي للقديس الشهيد يعقوب الحمطوري الذي اتحد سريريا بالرب يسوع المسيح . لنفرح ونسلتد بالنشوة الروحية بهذا القديس الذي اتحد بالذي لايموت واستحق الحياة الابدية . فطوبى للذي يحفظ وصايا الرب ، طوبى للذي يصون حياته ، طوبى للذي يلتهب بمحبة الله الالهية.

" طوبى لانقياء القلوب فانهم لله يعانون " (متى 5 : 8) .

فلك من قلوبنا وعقولنا وافواهنا اذ نقول لك:

افرح .. افرح .. يا شهيدنا العظيم .